مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م
الجزء الثالث - المجلد الثاني والخمسون

كانط ومثلث الحداثة دراسة للمشروع
التنويري وصيرورته الفلسفية

الدكتور علي حسين الجابري
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

الملخص

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد وقفنا فيه عند التنوير او الحداثة في الفلسفة الحديثة ، الى جانب مبحثين ؛ الاول دار حول الحداثة الكانطية ومشروعها التنويري . والثاني : ما بعد الحداثة الكانطية ، وصولاً الى الحداثة العولمية المعاصرة ، التي مثلت ما يعرف بحضارة الموجة الثالثة ، ممثلة بالعولمة والفلسفة الكيوسية ، وغلبة اللاسببية واللاحتمية وحقبة ما بعد الهندسية الكمية (الكوانتم) وعصر النظرية النسبية . التي اصبحت فيها القاعدة لا تكتمل الاّ بالاستثناء والنظام بالفوضى ، والكلي بالجزئي . على الرغم من ان الكل اكبر من مجموع الأجزاء . فتعددت ــ بسبب ذلك ــ سبيل الوصول الى الحقيقة ، وتنوعت المواقف بتنوع حيثياتها الكيوسية ، وتراجعت النزعة الميكانيكية أمام الديناميكا . والنزعة التاريخية امام اللاتاريخية ، بفضل (الهندسة التدريجية) في العلوم الأنسانية ؛ انه زمن من الحداثة الثالثة ، التي ساد فيها اللاخطي على الخطي حتى اكمل منظوره العلمي والفلسفي بتعايش المتناقضات وعلم الخيال الممكن ، بعد ان رفض كارل بوبر القواعد الكانطية والجدل الهيجلي وقوانين ماركس الحتمية ، حتى دفعت به الى القول : ان (العقلانية لم تَعدْ من الأفكار العصرية) تلك هي خلاصة البحث ونتائجه في زمن العولمة السوبر إمبريالية في (أمريكا) وما بعد الحداثة في (أوربا) . وما قبل الحداثة عندنا .

تمهيـد :

(الذات والموضوع) مسألة تحكمها علاقة يتوقف عليها حكم النص على واحد من الاسس : اما ذوبـــان الـذات فـــي الموضوع ، او حرية الذات وتفوقه على الموضوع او تفـــاعل الذات مع موضوعه ان كان الموضوع (لوحة) او (مجتمع) او (طبيعة) . هكذا نشأت اشكالية البحث فـــي (الانســان ، والعقل والحرية والعلم والارادة والمعرفة والمؤسســـة) الـــى جانب البحث في (الطبيعة) (او عموم الوجود الميتافيزيقي)

وعلى ضوء هذه الرؤية اعاد الفلاسفة قـــراءة (نـــوع العلاقة) وبنيتها ، وثمارها وادوار (القوى المســاعدة) فيـــها (اجتماعية ، تربوية ، دينية ، سياسية ، اقتصادية ، قانونيـــة) واثرهـــا في نمو ذلك الانسان داخل شبكة العلاقات الممتدة مـن الاحساس الاولي ، حتى السمو العقلي (الترنسندنتالي) وهـــو يصوغ فكرته عن (الطبيعـــة وما بعدها) بحثـــا عن قيم الحق والعدالـــة والخير والجمـــال . فكيف يكون ذلك الانسان ومتـــى يكون في وضـــع (ايجابي) يفصـــــح مـــن خلالـــــه عـــن مكنونـــات وعيـــه ، وذاته افصاحـــاً يشـــــع إبداعـــاً علـــى (موضوعاته) أو قـــل بيئته(الاجتماعية / الحضارية) وبيئته (الطبيعية / المعرفية) ؟ ذلك هو السؤال الخالد في الفلســـفة ! والاجابة متطورة متبـــدلة بتطور الوعي وشروط الحياة ونـــوع (العلائق) التـــي ولـــدت اشكاليـــــة (السببيـــة) فيمـــا بعـد

! مثلما تولدت عنها منظورات (واقعية / عقلانية) و(فوق واقعيـــة) ميتافيزيقية لا يخلو مضمونها من مقدمات مشروعة وان اختلفنـــا مـــع أصحابها بسبب تنوع اجوبتهم وتوتر (عقلانيتهم) بين ســـؤال الـــذات (الوعي) ومشكلة (الوجود والعدم) او (الصواب والخطأ) او(الخير والشر) او (الجميل والقبيح) او قل هو التوتر في علاقـــة (الـــذات بالموضوع) او (الحدث بالوجود) او (الانسان بالالة) فـــي لحظـــة انتقالية من المرئي الى ما خلفه ومن الماورائي الى ما بعده أي الارتقـاء الى ما وراء وراء الطبيعة ! حتى بدت هذه التصورات التي انشغل بـــها (العقل الخالص) مجموعة من (المتناقضات) التي لا تتقـــاطع مـــن حيث النتائج بل تتكافأ فيها عناصر(القوة والضعف) بنفس المقدار الذي ينطوي عليه كل طرف من اطراف (المعادلة) ــ المشكل ــ من القـوة والوهن ! ولم يعد الامر كما وجده ارسطو في (الصعوبة المعرفيـــة) الناشئة من تعادل الادلة (المؤيدة والمعرضة) للموضوع الذي نتأمله ! . فيصعب معه الاجابة عن سؤال اين الصواب وايـــن الخطـــأ ! مـــا دام المطلوب من (العقل) ان يجيب ؟ ومن تراكم هذه الأجوبـــة الفلســـفية على مر العصور استقامت فلسفات ونظريات وآراء الجديد فيها دومـل لا يقتصر على (الفكـــر بذاتـــه) او (الشـــيء بذاتـــه) داخـــل دائـــرة (الميتافيزيقا) بل تعداه الى اسئلة العقـــل عـــن (الانســـان ، والحيـــاة والمجتمع) فالانسان يفتش عن ذاته الانسانية وكينونتـــه الوجوديـــة ، وذخيرته المعرفية المتناسلة خلال حوار لا ينقطع مع الاجيال ! بمعنـــى ان الفلسفة لا تكتفي بالتفلسف في قضايا الكـــون واصلـــه ، والوجـــود وطبيعته ، اذا ما غلب عليها ، السؤال الباحث عن (موقع الانسان فـــي هذا الوجود ، وموقفه منه ، ودوره فيه) في لحظة تحرره من (عقـــدة الجبرية والعلاقة العضوية مع الاشياء) تلك الجبرية التي قيدت وعيـــه

ردحا من الزمن ! وشلت يده وعقدت لسانه ! لكنه بعد حين وعي وكتب وقال رأيه ! اما الان فكيف يمارس الانسان انسانيته ، وكيف يدير علاقته مع المحيطين (الانساني) و (الكوني) ؟ نطرح هذا السؤال بعد ان فقد ذلك الانسان ثقته (بالمؤسسات) التي ظن انها ما قامت الا لتكون عونا له لا عليه ، فمأساة الانسان نشأت من اكتشافه (خيبة الامل) في (العقل) ذاته ، والعلم (ذاته) و (الطبيعة) ذاتها و (المجتمع) ذاته ، الخلل في العلاقة معها جميعا ، تحولت الى عبء (سلطة) عليه ، وقيود تريده ان لا يغادر اوامرها ونواهيها واحكامها المطلقة ، لا فرق ان كانت سلطة (اجتماعية ام سياسية ام دينية ام اقتصادية او قبلية وحتى علمية) . فما العمل ؟ وكيف السبيل الى (مصير) وحياة امنة مطمئنة سعيدة تتكافأ فيها قدرات الانسان مع سعادته ! التي تتأطر بالارادة الحرة ، والتفاعل المنفتح مع البيئتين (الاجتماعية) و (الكونية) ؟ انه كيف الانسان والمؤسسة ونوع الخطاب (العلاقة) فيما بينها !

هذا هو جوهر النزوع الانساني نحو حياة كريمة بعد ان تهمشت ثقته بالاجوبة المألوفة والعلاقات العضوية ! مما يوجب (التنوير) . وعن الامس قل كيف تعامل كانط مع هذه (الاشكالية) وهو يؤجج شرارة التنوير ؟ لكن السؤال الاهم هو : هل بدأ هذا المفكر من فراغ (ظلام) ام ان ثمة تراكم معرفي وصل اليه ، فقدح في دواخله شرارة الوعي الانساني ليعلن في العقدين الاخيرين من القرن الثامن عشر مشروعه التنويري الذي يتوحد فيه (الاجتماعي والعلمي والعقلي) فكان الخطاب موجهاً للجميع !

انطلاقا من هذا التصور سنتفحص هنا مفهوم (الاستنارة) وحدودها المعرفية والزمانية والمكانية) لكي يخرج كانط بالانسان من (شيء ينتظر المصير = الموت) الى موجود يحاول ام يملأ الخير

(الزماني / المكاني) بين (الميلاد والموت) بما يجعل من المصـــير مدعاة للفخر حين يتحول الانسان من وجود مادي الى كيان معنـــوي ، تلك هي حلقة الوصل التي ادركها كانط بين (المادي والعقلي) بل بيـن (الطبيعي وما وراء الطبيعي) او قل بين (المتغير والخالد) وهو امـو سبق وادركته (الاستنارة العربية) الاسلامية في واحـــدة مـــن اجمـــل القواعد اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لاخرتك كأنك تموت غداً .

ونحن نعلم ان بين (الدنيا والاخرة) فلسفياً ، هو الـــذي بيـــن (الطبيعي وما وراء الطبيعي) وفي ذلك اختلفت وجهات نظر الفلاسـفة وارباب الحكمة والكلام . واذا لم يكن كانط مخترعاً لسؤال التنوير فـــي حقبة التحولات الكبرى في زمانه فما هو شكل (الحداثة) التي ســـبقته ومهدت له مما سيكون محل بحث اخر عن الفلسفة الاسلامية ، وان هي فقدت بعض توهجها الى حين وصولها إليه ؟ ليعيد هو صياغة الســـؤال التنويري من جديد بشكل يستجيب لمنطق المعرفة والتغير ، بين السياسة والدين والحكمة والعلم ! وهو القريب من ثورات الفيزياء ، من غـــاليلو وكبلـــر وكوبرنيكـــس حتـــى نيوتـــــن ولاينـــتز وهيـــوم مـــــن الدائرة العقلية / المعرفية (العقلية / التجريبية) ! بعدها أي بعد قرنيـــن من الزمن على السؤال التنويري لكانط من حقنا ان نطرح السؤال الاتي ماذا حل بذلك السؤال بعد ان عاشت الانسانية ثلاث ثورات (صناعيـــة واجتماعية وعلمية) ؟ هذا على سبيل (العموم) وكيف انتهت الثورات الاجتماعية العاصفة على سبيل الخصوص (التـــي حـــذر كـــانط مـــن مخاطرها على جدل النهضة والتطور) تلك التـــي عاصرهـــا وراقـــب آثارها او تلك التي لحقت بعصره ؟ والقارئ الفاضل يتذكـــر (الثـــورة الفرنسية والثورة الامريكية ، والثـــورة البولشـــفية) .. وصـــولاً الـــى (الثورة الليبرالية) وما انطوت عليه من زحزحات في الوعي والقيـــم

والمزاج والقناعات ! والمصير مثل ثورة (التقنية / الانفو ميدية / المعلوماتية / الرقمية) واطارها (الكيوسي = الفوضوي) الذي نعيشه اليوم جميعاً .

نعم ، ونعم ، ونعم ! ما هو مصير السؤال التنويري الكانطي ، من وجهة نظر العقلانيين النقديين المعاصرين ؟ في زمن العولمة او ما بعد الحداثة او قل (الحداثة الثالثة) ؟ اسئلة سنقف عندها بعد حين ! واذا كان قانون (الحوار الفلسفي) و (التراكم المعرفي) و (الاستنارة العلمية) هو الذي ينظم (العلاقات) فيما بين الشمال والجنوب ؛ فما هي قنوات ذلك الحوار والياته ونتائجه ؟ اسئلة نحاول فحصها في اطار من (جدل التنوير) المركب الذي يستجيب لسلسة من المعاملات الفكرية والحضارية المتناسلة جيلا بعد جيل والعقل الانساني يجاهد للامساك بزمام الامور كي لا يغوص في وحل (الفوضى والضياع والتيه والاغتراب الاخلاقي العام) تحت دواعي (النزعة الكلبية) dogmatism في عالم اليوم بعد ان اقيمت سرادقات (العزاء) لنعي (الضمير الاخلاقي) لفرط ما تعرض له الانسان من ضغوط وتحديات وخيبات امل وتشيئ ؟ انتهت به الى (هوة المصير النفسية) ام هل كتب على (البشرية) ان تدخل تجربة التيه لالف عام ثمناً (لتيه بني اسرائيل النفسي) ! ؟

ان هل نصدق مقولة من قال عن الألفية الثالثة (بداية العصر الشيطاني) كرد على (حقبة الرحمن) التي بدأت مع السيد المسيح (عليه السلام) منذ الفي عام ! متناسياً السؤال الإبراهيمي الخالد عن السر الكامن وراء المحسوس والمرئي والمتغير والفاني والجزئي والمنفعل والساكن والوقتي ! والذي لولاه لما كان هناك من معنى للحياة الانسانية المتدفقة حيوية ولا للتصورات العقلانية الكبرى عن رسالة وجود

الانسان على هذه الارض ؟ السؤال نفسه يتكرر بعد اربعين قرناً وهو نفسه الذي كرره الانبياء والمصلحون والحكماء والعلماء طوال هذه الحقب ، ووصل الى البيروني والغزالي وابن الطيب وابن رشد .. ثم الى كانط وهيجل .. الى يوم الناس هذا والى مستقبل الانسان الاتي مهما امتد ! فأين يكمن الخلل ؟ هل في الانسان ام الظروف ام المجتمع ام المؤسسات ام الدولة او القانون ؟ او قل بين الانسان وضميره وعقله من جانب وبين غاياته الاجتماعية / الانسانية والكونية والمؤسسات من جانب آخر ؟ اسئلة تتابع اسئلة والاشكالية واحدة نشأت بسبب اختزال المشكلة من اسبابها الاجتماعية والسياسية والحضارية والنفسية الى الاسباب (الجبرية) التي اريد لها ان تتملص من مسؤولية (الظلم) الذي يتعرض له الانسان ! مع ان الله سبحانه وتعالى يقول بسم الله الرحمن الرحيم .

" ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "
(الرعد ١١ / ١٣) مما يعني ان جوهر المشكلات نشأ من جراء اختلال (العلاقة) بين اطراف المعادلة الحيوية كافة او قل بين عناصر الوجود الانساني والكوني وعوامله حتى بدت الاشكالية (ذرة في محيط لتعبر عن مكنون ذلك المحيط) بمناسبة مئل مئوية كانط الثانية ؟ ويبقى السؤال الذي يؤرق العقلاء ! لا عن مظاهر التنوير قبل كانط ، او معه ؟ فتلك مسألة سنقف عندها بأجتهاد متواضع في مناسبة اخرى ، لكن الاهم هو : ما هو مصير السؤال الكانطي في عالم اليوم ؟ ان كان (حداثويا غربيا ــ امريكيا) ام جنوبيا اسلاميا عربيا ؟ عندها يليق احتفائنا بالسؤال التنويري الكانطي ، بعد جميع هذه السنين وهو ينطوي على مغزي فلسفي اجتماعي ، انساني ، مدني ، مستقبلي ، تثويري ! حرصنا على إيراده هنا في إطار (مثلث الحداثة) فعسانا ان نوفق .

اولاً : التنوير او الحداثة في الفلسفة الحديثة

عد التنوير بمعنى التوجه المادي / الطبيعي / التجريبي الواقعي الحسي الرافض لكل ما هو ديني ، او ميتافيزيقي[1] فعصر الانوار في مفهوم الماديين بعامة والماركسيين على وجه الخصوص ؛ هو اساس الفكر النقدي اللاديني الذي يرفض مقولة السبق المثالي او وجود (المقدس) بل يتعامل معه على اساس انه تاريخي انساني[2] تحت دعاوى (نقد الكنيسة) المتحالفة مع (الاقطاع) او (البرجوازية) بهدف (التخلي عن جميع الاوهام) التي تحدّث عنها القديس توما الاكويني بعد ارسطو [3]. مع ان لا جامع يجمع الفيلسوفين زمانا ومكانا او منهجا . جميع ذلك جرى تحت دوافع (النزوع العلمي) في المعرفة وامتلاك اليقين . ان الدوغمائية (الماركسية) كما قدسها بوليتزر انتهت به الى الاعلان على رؤوس الاشهاد " ان فلسفة الانوار بدحضها اللاهوت والميتافيزيقا قضت على هالة التكريس الالهي " انها حملة علمية ضد (التعصب والظلم والبربرية)[4] لذلك يقول (في مقدورنا ان نتتبع فلسفة الانوار .. بدءا من عصر النهضة مروراً بمونتاني ، ورابيليه ووصولا الى ديكارت وباسكال)[5] تراث ممهد لها متغافلا عن كانط لأنه (غير فرنسي) والالمان على خصومة معهم في الحرب

---

[1] جورج بولتيزر ، فلسفة الانوار ترجمة / جورج طرابيشي ، دار الطبيعة بيروت ١٩٦٤ ص ٩ _ ٧ .

[2] ايضا ص ١٠ ــ ١١ .

[3] ايضا ص ١٣ ــ ١٥ .

[4] ايضا ص ٢٣ .

[5] ايضا ص ٢٤ .

الثانية . فالانوار اذا فرنسية المنبع مقترنة بثورة عام ١٧٨٩ الشهيرة[٦] وينظر لها على انها حرب مستمرة على الكهنوت [٧] بهدف قطع كل صلة للغرب بالماضي الديني (المظلم)[٨] .

ومرجعية بوليتزر في ذلك ليس التراث الفلسفي العلمي الانساني انما قول انجلز حين قصد (الانوار في العلم الذي يتمرد على الكنيسة) [٩] وبالتالي فان الماركسية هي وريثة تلك المادية " وهي بذلك حاملة لراية التنوير والثورة على كل ما هو رجعي كنسي ، اقطاعي ، برجوازي "[١٠] مثالي .

هكذا " بفضل الاشتراكية العلمية حملت الماركسية الى الانسان انوار العلم لا بصدد مصائر الطبيعة فحسب ، بل ايضا بصدد مصائره بالذات كذلك تلقت مشكلة ملكوت العقل في المجتمع حلا عقلانيا ، " بدورها اذا ما تحقق " الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان" :[١١] انها ثورة التحرير من الاستغلال والاستبداد .

ولا نلوم بولتيزر الذي كان يتهيأ لمقاومة النازية الى حين اعدامه رمياً بالرصاص عام ١٩٤٢ ، وهو يكتب بمناسبة مرور (١٥٠) عاما على قيام الثورة الفرنسية ، بروح الاعتزاز الوطني مع ذلك يشير وهو يعيش اجواء الحرب العالمية الثانية وممهداتها إشارة خجولة التنويرية المانيا بعدها قبسا من وهج الأنوار الفرنسية قائلا عن الحركة

---

[٦] بوليتزر : فلسفة الانوار ص ٣٢ ــ ٣٣ .

[٧] ايضا ص ٢٦ ــ ٣١ .

[٨] ايضا ص ٣٧ .

[٩] ايضا ص ٣٤ .

[١٠] ايضا : ص ٤٢ ــ ٤٣ .

[١١] ايضا ص ٤٦ .

التنويرية " تلك الحركة التنويرية التي تعيد الى الأذهان اكبر أسماء الفلسفة الكلاسيكية والادب في المانيا ابتداء من كانط وغوتيه وصولا الى هيجل الذي كان يرغب على الدوام في المزيد من الانوار[١٢] ويبدو ان وضع كانط في دائرة (المثالية الالمانية الكلاسيكية) كان وراء جعله تابعا للتنوير الفرنسي ، فحين تتحدث الموسوعة الفلسفية الماركسية عن جدل التناقض المادي تقول " مقولة في الجدل تعبر عن المصدر الباطني للحركة وجذر الحيوية ومبدأ التطور جميعا وادراك التناقض في اشياء وظواهر العالم الموضوعي هو ما يميز الجدل عن الميتافيزيقيا ، الجدل بمعناه الدقيق : هو دراسة التناقض في جوهر الاشياء ذاته " (وهي واحدة من قواعد عمل كانط في كتابه نقد العقل الخالص) ثم تقول الموسوعة :

" وان التناقضات الجدلية المنعكسة في الفكر والمفاهيم والنظريات يجب تمييزها عما يسمى بالتناقضات المنطقية التي هي تجليات للتشويش وعدم الاتساق في التفكر "[١٣] من غير ان تشير هذه الموسوعة الى مفاهيم مثل الحداثة والتنوير وعصر التنوير او الاستنارة لان الامر يتعلق بمؤسس المثالية النقدية المتعالية وصاحب النزعة اللا أولية ".[١٤]

وحين تتحدث هذه الموسوعة عن كانط في نقد ملكة الحكم وعلم الجمال تقول انه " قدم مبدأ القيمة الذاتية لكل فرد التي لا ينبغي ان يضحى بها لخير المجتمع ككل " وفي علم الجمال اعلن " ان الشعر هو

---

[١٢] ايضا ص ٥٢ .

[١٣] جماعة من العلماء السوفيت : الموسوعة الفلسفية باشراف م . روزنتال ، و ب يودين : ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة ، ط ٦ بيروت ١٩٨٧ ص ١٤٣ .

[١٤] ايضا ص ٣٨٧ ــ ٣٨٩ .

الشكل الأعلى للفن قادر على ان يصور المثل الاعلى " كما تحدث عن دور التطاحنات (الصراعات والحروب الدامية) في السيرورة التاريخية للحياة الاجتماعية ، والحاجة الى سلام دائم وعد التجارة والاتصالات الدولية ذات منافع متبادلة "[١٥] للدول مما كان له اثر بالغ في التطوير اللاحق .

مع ذلك تحدث الماركسيون عن الكانطية الجديدة وهي تسعى الى تطوير العناصر المادية والجدلية في فلسفة كانط ، لكنها تحمل في طياتها خصومة مع الماركسية من جانب ولاهتمامها بفلسفة القيم من جانب آخر ".[١٦]

وحين نفحص (الموسوعة المختصرة) نراها على الضد من ذلك تتعامل مع التنوير الكانطي بعده الرحم الذي نمت فيه بذرة الحداثة فالخبرة الأخلاقية والجمالية توجب تأكيد : مبدأ الشخص ان يكون أخلاقيا اذا تماشى مع القانون الأخلاقي ، والجمالي والقاعدة الكانطية تقول " اعمل بحيث تعامل الانسانية ممثلة بشخصك ، وفي الأشخاص الآخرين جميعا لا باعتبارها وسيلة فقط ، بل (بعدها) غاية "[١٧].

و " الانسان بما انه كائن ظاهري (فهو) خاضع للضرورة السببية ولكن بما انه كائن باطني (الشئ بذاته) فانه حر لا يعرف ملذا تكون حريته ، بيد انه يعلم مع ذلك انه حر ، والمنطقة الوسط الناشئة بين الظاهر والباطن ، او بين الضرورة والحرية كما يراها كانط تتجلى

---

[١٥] ايضا ص ٣٨٨ .

[١٦] ايضا ص ٣٨٩ .

[١٧] جماعة من الانجليز : الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمة جلال العشري وجماعة بأشراف زكي نجيب محمود ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٥٣ .

في " اتساق الحرية الأخلاقية مع نظام الطبيعة)[١٨]واذا كانت (حرية الارادة) والضرورة تقع ضمن متناقضات العقل المحض كما يراها كانط في نقد العقل النظري ، فانه في نقد العقل العملي ونقد ملكة الحكم انما يقف مليا عند القانون الأخلاقي والشخص (الانسان) والواجب والقصد [١٩] بالصورة التي ستشكل اسس مقاله في التنوير(آلاتي) .

واذا كانت صيرورة التنوير الكانطي قد ربطت بين جميع الفلاسفة النقديين اللاحقين ، فأن نيتشه "[٢٠] يمثل العلامة الاخيرة لنداء الحداثة في القرن التاسع عشر ولكن بصورته العدمية وفي القرن العشرين وجد (ماكنتير) ان ماركوز (مدرسة فرانكفورت) خلال الفترة (١٩٣٣ ــ ١٩٣٨) قد كرس كتاباته " للدفاع عما يعتبره النواة العقلانية للفلسفة الأوربية القديمة في وجه اللاعقلانية المعاصرة "[٢١] بعد ان وضع على رأس قائمة الفلاسفة الكبار (ارسطو وكانط وهيجل) [٢٢]ثم يستدعي النص آلاتي لكانط الذي يقول فيه " أننا انما نتمكن من فهم العالم ومعرفة الحقائق المتعلقة به لأن العقل يستعين في فهمه بمجموعة من المقولات التي تنظم وتضبط بها ما يستوعبه من خلال الخبرة . فالخبرة لا تأتي مطلقاً بشكلها الخام ، بل من خلال ما تتركه تلك المقولات فيها من اثار ، اننا نختبر ونمارس الأشياء بوصفها

---

[١٨] جماعة الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٢٥٤ .

[١٩] ايضا ص ٢٥٢ ــ ٢٥٤ .

[٢٠] سعاد حرب : في الفرد والحداثة عند نيتشه : مجلة اوراق فلسفية ــ العدد الأول، القاهرة ٢٠٠٠ ص ٢٠ .

[٢١] السدير ماكنتير : ماركوز ، ترجمة عدنان الكيالي ، سلسلة أعلام الفكر العالمي المعاصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ٢ بيروت ١٩٦٢ ص ٩ .

[٢٢] ايضا ص ١٠ .

ذات صفات وعلاقات مقررة ومحددة لان البنية المفهومية التي يفرضها الفكر (العقل) على العالم أن يعطي اطارا محدداً لما يكون .

أضف الى ذلك العالم ان مقولات الفهم تثبت وتحدد تحديداً نهائياً ويكون العقل نفسه ذا محتوى وتركيب محدد غير قابل للتغير " [٢٣] ووافقه هيجل في مسألة (البصيرة المركزية) لكنه خالفه فيما بعد من زاويتين الأولى : كون كانط طلب التمييز بين الواقع كما نعبه (ندركه = نستوعبه = نتصوره) والواقع كما هو بالفعل (حقيقة موضوعية / خارجية) والحقيقة أننا لا نعرف من الواقع الا الذي نعرفه .

اما الثانية فان هيجل يهاجم المقولات ومتناقضاتها لأنها مجردة من عنصر الزمن وانها غير قابلة للتغيير وان تاريخ الفكر هو تاريخ بنى ومفاهيم متغيرة[٢٤] .

فما هي حقيقة النزعة التنويرية الكانطية ؟ ولماذا اتجه الى الانسان والدولة ؟ الجواب على ذلك السؤال سنجده في مقال التنوير آلاتي :

ثانيا : الحداثة الكانطية ومشروعها التنويري

على الرغم من النعوت التي أطلقت على الفلسفة الكانطية (الانتقادية) احتلت أسئلة الإنسان والسعادة والجمال والحكم والحق والحرية ، والعقل ، موقع الصدارة عنده لكي يخرج من (جب التنظير الميتافيزيقي ، والعقل المحض والمتناقضات) الى شمس الهموم الانسانية الحيوية في حقبة لونت عصرها بالوان الثورة الامريكية في العالم الجديد والثورة الفرنسية في العالم القديم وما رافقها من صيرورات

---

[٢٣] ماكنتير : ماركوز ص ٣٥ .

[٢٤] ايضا ص ٣٥ ــ ٣٦ .

سياسية ومعرفية وحقوقية متنوعة ! ويخلص المتأمل لمقال كانط (عن ماهية عصر التنوير) الى ما يأتي :

١. الخطاب يدور حول (الانسان : الوعي والعقل والحرية) لكي يدرك ذاته وحقيقته ويعبر عن ارادته وفرادته في اطار من :

أ) فهم دوره الاجتماعي المدني وبأنه قادر على تخطي عوامل قاصريته الحيوية .

ب) التذكير بدور (العقل / البلوغ) للخلاص من قيود التبعية والاستكانة وامتلاك مقدمات (العقلانية الاجتماعية) وصولا الى (عقلنة مؤسسات المجتمع) بمعنى انه مطالب في أن يقنع الدولة ومؤسساتها ببلوغه (سن الرشد) .

ت) ادراك شرط (الحرية) الذي من غيره يتحجر الوعي داخل الافراد ويبقى الانسان سلبيا عبداً قاصراً وتابعاً ومنفعلا ومقيداً .

ث) ليقول للانسان (الجماعة) عليك ان تبادر للخلاص من قيودك (النفسية) والسياسية والانطلاق باتجاه الافق الانساني الارحب متسلحا بالعقل الحر ، وبالعلم اليقيني والتكنولوجيا الجديدة .

٢. اما أسباب هذه القاصرية فيوزعها كانط على مستويين :

ـ **الاول** : ذاتي تطبع عليه الانسان بسبب الظروف المقيدة له وبحكم التربية الاسرية والكنيسة (الدينية) والمؤسسات الرسمية .

ـ **الثاني** : موضوعي فرضته جماعة من (الاذكياء / الاقوياء) بحكم هيمنتهم على مقومات (السلطة والادارة) على اختلاف انواعها دينية وسياسية واقتصادية لفرض سطوتهم على الاخرين . ومثل هذه السطوة (غير العادلة) من جانب اصحابها كما يراها كانط :

أ) لا تدلل على عقلانية ممارسيها ، ولا على علمية (رجل الدين) الذي يمارس طقوسه في الكنيسة ، وهو على خلاف مع مضمون

رسالته الرسمية .

ب) لا تعبر عن احترام الناس للحاكم الذي يمارسها ويسوس الناس بها كما يساس القطيع في البرية .

ت) لا يعني ان القائد العسكري (الصارم) قادر على توظيف طاقات (المطيعين والقاصرين) لتحقيق الفوز في المعركة ، بسبب الغائة لإرادت المواطنين (المقاتلين) .

فمثل هذه المناخات (المقيدة) ذاتياً وموضوعياً تحول دون تحرر الطاقات الانسانية مما يحول دون التقدم "[٢٥] .

٣. ان الفرد = والجماعة ، لا قدرة لهم على دخول (عصر الانوار) الأعلى وفق اليات وادوات وشروط ، غابت من العصور المظلمة مثل :

أ) محبة العلم ، والتعلق بالعلمية والحقيقة وحق الاختيار .

ب) الشعور بما يشعر به (المواطن الراشد) القادر على التوفيق بين (حقوقه وواجباته) بامتياز واعتزازه بحريته المسؤولة وقدرته على اعلان موقفه (المختلف) عن غيره بفضل نسبية الحقيقة الحيوية ، والاعتراف للجميع بحق الاختلاف .

ت) الشعور بالانتماء الى (مجتمع مدني) تتيح مؤسساته قدرا من الحرية لمواطنيها لكي ينتزعوا من دواخلهم الخوف والسلبية والتردد ، والخطاب هنا يخص حتى اولئك المسؤولين عن الاديرة والكنائس المختلفة ممن عليهم ان يتحلوا بقدر من العقلانية والعلمية والاستقلالية والشجاعة ، بين ما يفرض عليه رسميا وبين ما يراه بعقله وضميره من حقائق أُخر . نعم عليهم ان يعلنوا رأيهم

---

[٢٥] عما نوئيل كانط : ما هو عصر التنوير ترجمة يوسف الصديق ، مجلة الكرمل (ملف كانط ــ فوكو) ص ٦٠ ــ ٦١ .

بصراحة وشجاعة وشفافية ووضوح . خارج منطـــق (القســر) والاملاءات والاوامر والنواهِ التي عفى عليها الزمن انـــها دعـــوة للاجتهاد الديني / العقلاني / الحر ، لكنـــه اجتـــهاد فـــي مـــورد (النص) . ان كانط يرى ان (المجال الديني)[٢٦] هـــو الاكـــثر اهمية في عملية الاستنارة المنشودة للخروج من قيود العقائد التـــي عفى عليها الزمن . والتعلق بروح التنوير والتجديد والاصـــلاح ، انها دعوة الى نوع من (العقلنة) في المضمون الروحي حفاظـــاً على البعد الاخلاقي الذي ينشده كانط في عموم فلســـفته ولعمـــوم الناس والعصر .

٤ ــ اما أخطر معيقات التنوير عند كانط فهي دولة مستبدة ومؤسســات قمعية وحاكم جاهل . اما حين يكون (رأس الدولة) مستنيراً محباً للعلم ، عاقلا فاضلا فانه يوفر على مواطنيه الجهد والوقت لكـــي ينتقل بهم الى عصر الاستنارة الحقة وحرية التعبير عن ارادتـــهم وحث المؤسسات على ترسيخ تقاليد المجتمع المدنـــي المتضـــامن والممارسة الديمقراطية الصحيحة ! وحث الناس علـــى مواجهـــة الاخطاء وكشفها بشجاعة ومسؤولية وشفافية واصـــلاح الخلـــل . فمثل هذا (الملك) يسهم في انضاج شروط الدخول الى عصـــر العلم والمعرفة والتنوير ، ويرتقي بمجتمعه مراتب التقدم والسمو.

٥ ــ صحيـــح ، ان الافـــراد او الجماعـــات ، الســـاكنة والقـــاعده أي (القاصرة) ممن اعتاد على الرتابة (الجمود) اذا مـــا امتلكـــوا ارادة النهضة والتقدم سينكفئون فـــي خطواتـــهم الاولـــى باتجـــاه

---

[٢٦] عما نوئيل كانط : ماهي الانوار (مع نص فوكو) تقديم جميل قاسم ، ترجمـــة جميل قاسم ويوسف الصديـــق وشـــربل داغـــر ، دار الانـــوار بـــيروت ب ت ص ٢٩ ــ ٤٦ .

الاهداف الانسانية المشروعة : لكنهم سرعان ما يتقون بانفسهم لبلوغ المزيد من الاهداف (التربوية والاقتصادية) التقدمية اذا ما اصروا على حمل مشاعل العلوم والحكمة . وانطلقوا من ارادة قوية في الانتصار على اسباب ضعفهم وامتلاك عناصر قوتهم وحيويتهم في الحياة الحرة السعيدة والكريمة .

٦ ــ وان كان كانط داعية تغيير وتطور لكنه يحذر من مخاطر النمط (الثوري) منه الذي قد ينتهي بالمجتمع والافراد الى فوضى عارمة يصعب السيطرة عليها ، تهدد مسيرة التقدم الاجتماعي ، مما يوجب اعتماد اسلوب التغييرات التدريجية المعقولة لصالح التقدم الموضوعي لتحقيق نهضة المجتمع ونضوج المناخ الانساني للاجيال المتعاقبة وللتغير . ومن اجل احكام منطق التقدم لابد من ضبط شروط التغيير هذه على الصعيدين (العام) و (الخاص) يقول كانط :

أ) " فالاستخدام العام لعقلنا (هو) الذي يقوم به المرء حين يكون عالماً في اتجاه الجمهور الذي يقرأ (المتعلم) اما الاستعمال الخاص لعقلنا ، فهو الذي يعطينا الحق في ممارسته والعمل به من موقع مدني "[٢٧] حقوقي .

ب) والحرية التي ينشدها كانط لكي ندخل بها عصر التنوير يجب ان تكون بمعناها الاكثر براءة " أي التي تقبل على استعمال علني للعقل في كل الميادين " [٢٨] على قاعدة من حسن الظن بالاخرين.

---

[٢٧] كانط : ما هو عصر التنوير ص ٦١ ثمة ضعف واضطراب في ترجمة النص من الفرنسية جعل عباراته مفككة ، مع ان المترجم من المعروفين في هذا المجال .

[٢٨] ايضا ص ٦١ .

ت) اما التنوير فـلا يعنـي عنـده (الحريـة المطلقـة) او السـائبة (الفوضوية) بل ذلك النمط الذي يؤول الـى تـوازن (الحـق الخاص) مع (الواجب) العام على وفق القاعدة التي وضعها ملك بروسيا فردريك الثاني والقائلة : " فكروا قدر ما تشاؤون ، وفـي ما تشاؤون ، ولكن عليكم ان تطيعوا " الاوامر[٢٩] . هذه القـاعدة رقم واحد . وفي المشروع التنويري الكانطي تقـول : القاعـدة الثانية : " ما حرم على الشعب ، من باب اولي ان يبقى محرمـا على الحاكم " . اما الثالثة فتقول على الحاكم المستنير" ان يمنـع بعض (اقلية الشعب) من حرمان البعض الاخر (الاكثرية مـن الشعب) بالقوة " عن ممارسة حقهم وقدراتهم وعقولهم وارادتـهم ورغبتهم في التقدم .[٣٠]

اما القانون الذي يشترطه كانط على الجميع لتحقيق الموازنة بيـن (العام) و (الخاص) ونعني به " احترام عقله في اللحظة التـي يتحدث عن الواجبات والمحرمات "[٣١] وكـي لا يظـل الانسـان قاصراً جاهلا ، والكلام موجه الى رجال الدين العلماء حصـراً . فيقول : " اما الادعاء القائل ان الاوصياء على الشـعوب (فـي الامور الدينية) لابد ان يظلوا قصراً هم انفسهم ، يعـد سـخافة اسهمت في تأييد السخافات الأُخر[٣٢] وترسيخ روح الجهالة والبقاء في الاقبية المظلمة للعصور الوسطى .

---

[٢٩] ايضا ص ٦٥ وهامش ٣ .

[٣٠] كانط : ما هو عصر التنوير : ص ٦٢ .

[٣١] ايضا : ص ٦٣ .

[٣٢] ايضا : ص ٦٢ .

٧ ــ ولاستيعاب الدلالة التنويرية للتاريخ وسيرورته بين الاجيال وجد كانط (وهو يراقب ايقاع القرن الثامن عشر وفي لحظة استشراقه للقرن التاسع عشر) ان منطق التواتر التاريخي يوجب تغييراً نوعياً على صعيدي (الزمان / المكان) والانسان " وذلك لانه من غير الممكن لقرن ما ان يولد اتفاقاً يقيد القرن الذي يليه ، بوضع يجعله غير قادر على توسيع معارفة .. ويحرمه من التخلص من اخطائه والتقدم بصفة عامة على (طريق) التنوير انها لجريمة في حق الانسانية التي يحملها قدرها الاصيل ، نحو هذا التقدم بالذات "[٣٣] من غير خوف او تردد او جريرة .

٨ ــ ولكي يمنح كانط هذا الاستنطاق للتاريخ والمستقبل روحه العملية والتربوية قال : انه يحق للخلف ان يرفض تماما مثل هذه القوانين (اذا ما تجاوزها منطق الزمن) وان يحتج (على ذلك) بجهل من قام بسنها (شرعها) وطيش دوافعه .

ووجد ان حجر الزاوية في كل ما يمكن تقريره لصالح الشعب واجياله المتعاقبة وبعيداً عن (منطق الوصاية) انما يلخصه المبدأ الاخلاقي الاتي " هل يقبل هذا الشعب ، ان يهب نفسه قانونا (للتخلف) كهذا القانون "[٣٤] ؟ ام انه يحرص على وجود قانون (للتقدم والرقي) ؟ قطعا سيختار الاحتمال الثاني ان كان شعبا ناضجا عاقلا .

٩ ــ العقل يقول : ان لكل حقبة قانونا يتطور بحسب تطور المجتمع ويتغير بتغير ايقاع حياة الناس سعياً وراء القانون الصالح الافضل والنظام (الاحسن) " شرط ان يترك لكل مواطن ولا سيما رجل

---

[٣٣] ايضا ص ٦٣ .

[٣٤] ايضا ص ٦٣ .

الدين العالم الحرية في صياغة الملاحظات حول العيوب التي تحتوي عليها المؤسسة الحالية بشكل صريح وعلني كتابة وتوعية ومقترحات " حتى يأتي يوم يتقدم فيه البحث في هذه الاشياء اشواطاً بعيدة تجعله يتأكد بما فيه الكفاية " فيرفع مشروع الاصلاح الى رئيس الدولة (الملك) مدعما بموافقة اغلبية اصوات المواطنين ؟ المتفقين على : ـ

أ) حماية المجموعات المتضامنة (مهنياً وفكريا وعقيديا وسياسيا) كل بحسب وجهة نظره من اية مخاطر او سياسات مستبدة .

ب) الرغبة في تغيير (اداء) المؤسسة الدينية دون الزام المؤمنين بثباتها بالتنازل عن حقهم او اقناعهم معنى (حق الاختلاف العقيدي) .

ت) الاتفاق على دستور دائم (موثوق ومصان) شرط ان يأتي في (مدة معقولة) لكي يستمر لصالح الانسان ، وكل تأخير هو نوع من الاقصاء لحقوق الانسان والاصرار على حرمانها من حق التقدم ويلحق ضرراً بالاجيال القادمة " ويبقى ما حرم على الشعب تقريره محرما من باب اولى على الحاكم ... فليسهر الحاكم (الذي يستمد سلطته من الشعب) على ابقاء الاصلاح المنجز المفترض هكذا :

١ . متفقا مع النظام المدني ، ومستجيبا لمصالح المجتمع .

٢ . يتيح الحرية لرعاياه في البحث عما يجب عليهم القيام به ليحصلوا على خلاصهم الروحي (في الاخرة) على اساس ان الدين علاقة ذاتية مطلقة .

٣ . ان يحترم وجهات نظر الكاتبين المعبرة عن حريتهم في الحياة الكريمة لكي يتجنب النقد واللوم . ويرمي عنه تهمة

الاستبداد او التعالي على ارباب القلم والكلمة[٣٥] ، اذا ما سد اذنيه دون نداءات الاصلاح والتنوير .[٣٦]

١٠ ــ ولكي يستكمل كانط (جدل القرون) التقدمي يطرح السؤال التنويري " هل نحن نعيش نهاية القرن (يقصد الثامن عشر بعده) قرناً مستنيراً ؟ " ويجيب عليه قائلا لا " ! لأننا في الواقع (نعيش) قرنا يسير نحو التنوير " بسبب غياب شروط التنوير مما حال بين الناس وبين " ممارسة تفكيرهم الخاص في الامور الدينية باحكام وقدرة ودون نجدة الاخرين "[٣٧] يقول كانط (ان ممارسة التفكير الحق) هو مكسب لو توفر الان (نهاية القرن الثامن عشر) لسرنا " في الطريق نحو عصر شامل للتنوير يخرج بالناس من حالة القصور التي يبقون هم المسؤولون عنها " الى حالة الرشاد كما هو الخروج من الظلمات الى النور . على هذا الاساس " يمكن القول ان هذا القرن هو قرن (الدخول) للتنوير وقرن الملك (فردريك الثاني) حصراً وما دام الامر هكذا :

أ) فالامير الذي لا يتردد في الاعلان عن ان من واجبه عدم اكراه الناس على شئ من الامور الدينية قادر على اعطاء كامل الحرية للناس في ذلك .

ب) والذي يجعل (التسامح) شعاره اليومي يبقى مستنيراً ويستحق من معاصريه كل اجلال ، كما يحظى باعتراف الاجيال الآتية بعرفانه .

ت) ومثل هذا (الملك) هو اول من يسعى الى اخراج الجنسي البشري من حالة القصور هذه (وليس السيد المسيح (عليه السلام) كما سيقول هيجل

---

[٣٥] كانط : ما هو عصر التنوير : ترجمة يوسف الصديق ، مجلة الكرمل ص ٦٣.

[٣٦] ايضا ص ٦٣ .

[٣٧] ايضا ص ٦٤ .

بذلك بعد حين) حين رفع بصلبه عن كاهل البشرية وطأة الخطيئة الاولى فاصبحوا احراراً .

ث) وترك لكل (شخص) الحرية في استعمال (عقله الخاص) في امور العقيدة "[٣٨] على اساس من (القناعة الشخصية) .

ج) وسمح لرجال الدين العلماء ان يصرحوا بوجهة نظرهم الخاصة (الجديدة) في (الامر الديني العام) من غير ان يحملهم مسؤولية ذلك وبما يعبر عن وعيهم الحر وارادتهم المستقلة .

ان هذا المناخ (التنويري) كما يراه كانط قد بدأ بالانتشار (خارج المانيا من غير خوف على النظام السياسي) ما دامت الحكومة قوية " فلا خشية على الحكومة والمؤسسات من الحرية[٣٩]. هذه هي القاعدة المدنية (العقلانية) التي يضعها كانط اساسا لعصر التنوير في وطنه .

١١ــ لعل صورة المشروع التنويري الكانطي تتلخص في السطور الاتية :

أ) العقلانية والحرية والشعور بالمسؤولية ذلك هو النوع من التنوير الذي يحرر الناس من (القاصرية) السائدة في المقاطعات البروسية .

ب) الدين وميدان التدين ــ الكنيسة ورجال الكنيسة ، العلماء هذا هو محور الاصلاح والا " فلا مصلحة لحكامنا في ما يخص الفنون والعلوم " .

---

[٣٨] ايضا ص ٦٤ .

[٣٩] ايضا ص ٦٤ .

ت) محور حركة ذلك الاصلاح والتنوير (رئيس الدولة) متى ما ذهب منهج تفكيره الى تشجيع التنوير .

ث) ان يعترف (الرئيس) دستوريا بأن لا خوف عليه اذا ما سمح لرعاياه باستعمالهم العلني لعقولهم لكي يقدموا للعالم افضل " ما انتجوه من افكار تشير الى بناء افضل لهذا التشريع حتى وان جاء ذلك عرضا نقديا مباشرا وصريحاً .[٤٠]

١٢ــ مثل هذا الملك ، الحاكم ، الرئيس المستنير :

أ) لا يخش عليه من البقاء في الظل ، بفضل قوة جيشه ومنعة وطنه .

ب) شجاع ، يعلن ما لا تجرأ على اعلانه اية دولة اخرى قائلا " فكروا ما تشاءون وفي ما تشاءون وعليكم ان تطيعوا "[٤١] مما يعني التوافق الواعي بين (الحقوق والواجبات) .

ت) ولكن قد يبدو من المفارقة " الحصول على درجة اعلى من الحرية المدنية " مع تقييد " حرية الفكر عند الشعب"[٤٢] كما تحرر قشرة (الجمود) الطبيعية في (الشجرة) من قشرتها الصلبة لتتيح الفرصة لطبقة جديدة من اللحاء انها " بذرة الميل والتأهب (الاستعداد) للفكر الحر " يعتاد عليه الشعب ويصبح له فطرة واعتياد وجبله أي " يزيد الشعب شيئا فشيئا من الاستعداد للسلوك بحرية " ما يؤثر بدوره على اسس الحكم الذي سيرى فيه الحاكم من صالحه " ان يعامل الانسان كأنسان وليس آلة " .[٤٣]

---

(٤٠) ايضا ص ٦٤ .

(٤١) ايضا ص ٦٤ .

(٤٢) ايضا ص ٦٥ .

(٤٣) ايضا ص ٦٥ .

هكذا يبشر كانط بعصر حداثوي ، يعرف فيه الحاكم والمحكوم ما له وما عليه ، ويخرج من سياسة القطيع الى نظام اجتماعي يحترم العقل والحرية وارادة الانسان ويفصل المقدس عن الدنيوي ويتعامل مع الحياة على وفق جدل الذات والموضوع والحرية والضرورة .

فهل ان مثل هذه الدعوات انطلقت من لا شئ وكأن العقل الانساني قبل كانط "[٤٤] قد اصيب بالعقم الى حين وصول النوبة اليه ؟ ام ان ثمة مقدمات تاريخية وفلسفية سبقته ؟ وقبل ان نتفحص نتائج السؤال التنويري الكانطي في القرنين الاخيرين الا يستوجب البحث العلمي ان نتأمل (نستذكر) حقبة (ما قبل الحداثة) الاوربية ؟ وهو ما يسمى (بالحداثة العربية الاسلامية) ؟ المؤجلة هنا الى حين توظيف البحث لاكمال المشهد الفلسفي الانساني (الغائب) عن صورة الفكر الاوربي الحديث وسيرورته لا لننوه هنا بالحوار الفلسفي بين حضارة الغرب وحضارة العرب اعتماداً على الجديد في دائرة البحث الفلسفي والتراثي ولكن لننتقل للاجابة عن مصير السؤال التنويري الكانطي في عصر العولمة والمعلوماتية والحياة الرقمية .

ثالثاً : ما بعد الحداثة الكانطية وصولاً الى الحداثة العولمية المعاصرة:

وجدنا في المبحث الاول كيف ان الحداثة modernaty على صعيد الفلسفة قد بدأت نهاية القرن الثامن عشر ، فان اوربا تعاملت

---

[٤٤] عما نوئيل كانط : ما هو عصر الانوار / ترجمة يوسف الصديق مجلة الكرمل : يقارب مع ما هي الانوار ؟ (كانط فوكو) ترجمة جميل قاسم ويوسف الصديق ، تقديم جميل قاسم دار الانوار بيروت ت ص ٢٩ ــ ٤٦ .

معها على وفق ظروف كل بلد فيها ، وهي في اوربا غيرها في الولايات المتحدة الامريكية كجزء من نزوعها للتحرر من تبعيتها للعالم القديم وامتلاك لحظتها التاريخية . زكان الغالب على عموم الموقف الفلسفي الاوربي ، وكان التعليق بالحداثة كجزء من الاشتراك في المشروع التنويري (العقلاني ـ العلمي ـ الاجتماعي) الى حين انتقالها الى ما بعد الحداثة ، مع شيوع النزعة العدمية لنيتشه التي كشفت عن (ازمة الحداثة[٤٥] واصبحت في امريكا كجزء من مشروع المستقبليات بعد ان توزعت ايديولوجيا (الماركسية و (البراغماتية) طوال القرن العشرين ، بخلاف الفكر العربي الذي بقي يعيش على بقايا (الحداثة الاولى) او قل ما قبل الحداثة الثانية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على الرغم من انفعاله السطحي بالثورات (الفرنسية ـ الامريكية ـ البلشفية) وما زلنا نفتش اليوم عن (صورة الحداثة العربية) ونحن نعيش تأثيرات (الحداثة الثالثة) كما تحدث عنها توفلر ، او كما تريدها امريكا في ظل العولمة ، وفلسفتها (الكيوسية = الفوضوية) واسلوبها (الادهوقراطي) و تعاملها على اساس قانون (الزيغ الزماني) و (جنات مال الاثرياء) والمافيا العالمية ؟

١ ـ لقد قدم لنا ما لكم برادلي وجيمس ماكفارلن خلاصة وافية لإشكالية الحداثة في الفكر الغربي (الاوربي الامريكي)[٤٦] من كانط الى

---

[٤٥] فرانك كيرمود : حركات الحداثة : مقالات حديثة : لندن ١٩٧١ بالانجليزية ومثله : جورج لوكاش : الواقعية الحديثة : لندن ١٩٦٢ (بالانجليزية) ص ١٥ ـ ٤١ وكذلك لورتوب فراي : القرن الحديث : نيويورك ـ لندن ١٩٦٧ (بالانجليزية) ص ٥٢ ـ ٢١٣ .

[٤٦] مالكم براداي وجيمس ماكفارلن : الحداثة ١٨٩٠ ـ ١٩٣٠ ترجمة مؤيد حسن فوزي ، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد ١٩٨٧ ص ١٥ ـ ٢٦٤ .

توفلر . ان الارتقاء من الحداثة الى ما بعد الحداثة Postmodrnism يعنى الوصول الى " ذلك النمط من وعي الانسان المعاصر لاهمية اللحاق بركب الزمن "[٤٧] الى ان وصل بها فيلسوف الحداثة (فلوبير الى القول عنها " كل ما اريد ان افعله هو ان انتج كتابا جميلا حول لا شئ وغير مترابط الا مع نفسه ، وليس مع عوالم خارجية يفرض نفسه بحكم اسلوبة "[٤٨] ايا كانت حركته معبرة عن (فن التحديث) او فن الادب التكنولوجي ، فما جاءت الا " لتحطيم الشخصية الفردية وتغليب الفوضى وفن الفن على الرغم من انها تعنى " فن اللا فن " وذلك هو مال الحداثة الاخير او ما بعدها بعد سلسلة الازاحات والحروب التي عصفت بالمجتمعات الغربية الى يوم الناس هذا بهدف تبني رغبات الانسان الفوضوية "[٤٩] وتغيير النظرة الى الدين والاخلاق والجمال والسياسة والادب "[٥٠] حتى جرى الانتقال الى فن الصدفة واللامعقول واللا قصد والأ إرادية واللا أصالة وشيوعها في كل مكان لتفصح عن معنى (التورط والغربة والعدمية واللا نظام واليأس والفوضى) انها مزيج مخيف من العقل وفوق العقل ، لابلى تعنى (هلوسة ما هو عقلاني وتغريب ما هو مألوف وتحويل كل ما هو غريب الاطوار الى شئ تقليدي) وعقلنة العواطف وعلمنة

---

[٤٧] براد بري ومكفارلن : الحداثة : ص ٢٣ .

[٤٨] ايضا ص ٢٥ .

[٤٩] ايضا ص ٢٨ ــ ٣٠ .

[٥٠] ايضا ص ٣٣ و ٣٤ ــ ٣٥ .

الروحانيات وتحويل المكان الى زمان .. ثم النظر الى اللا حقيقة بعدها الحقيقة الاولى والاخيرة و (إهمال منطق التاريخ والتشبث باللحظة والخلط بين (الرفض والقبول والحياة والموت والرجل والمرأة والارهاب والسعادة والجريمة والعبادة والشيطان والاله[٥١] .

٢ ــ هذا ما انتقل من اوربا الى امريكا في القرن العشرين ، امريكا التي تحولت بمرور السنين ومع تراجع (منطق الهيمنة الاوربية) الى مشروع للهيمنة على عالم الجنوب (امام العملاق الامريكي السوبر امبريالي) الذي رفض ان يتعامل في علاقاته مع الاخرين في اطار من حوار الحضارات وتبادل المنافع والشراكة العالمية في انتاج الحضارة وقطف ثمارها وتسخير منجزات العلم والعقل والثورة المعلوماتية لصالح الانسان وتحريره من الظروف السلبية التي عصفت به خلال حربين كونيتين معلنتين وحربين (باردة) ثالثة و (ساخنة) رابعة ضد الارهاب الاسلامي "[٥٢] ! وبعد ان جعلت امريكا من نفسها " مرجعية كونية قد رأت في هذه العقلانية (الحداثوية التي سبق ونادى بها كانط) اساسا لثقافة كونية وتسويغاً لمزاعمها في تحديد القيم الكونية (او تجديدها) متى شاءت وكيفما شاءت " فالحداثة (اليوم) تحدد " قياسا على ما قبل التحديث ، والعقل قياسا على الطيش والتطير " ولترسم خارطة لتقسيم جغرافي رمزي تضع الغرب في مواجهة الشرق (او قل الشمال في مواجهة الجنوب) وتجعل حداثة الاول وعقلانيته

---

[٥١] ايضا ص ٨٦ .

[٥٢] كيفن رونيز : حرب العالمين الاولى ضد بلد عربي مسلم من العالم الثالث تحرير وترجمة صبحي الحديدي ، دار الارض للنشر ، قبرص ١٩٩١ ص ٦٦ ــ ٦٧ .

(نقيضا) لقيم الثاني وتسمه باللاعقلانية ، حتى اقام (الغرب / الشمال) احكامه عن (الشرق / الجنوب) على (اساس من الدونية والعجز والتدهور)[٥٣] ويعمم الحكم على العقائد فيقول (الاسلام المتخلف الذي يقابل بالغرب المسيحي / اليهودي المتقدم) لكنهم يخشون من تحديث (الشرق / الجنوب) لان ثقافته عندئذ ستهدد حضارة الغرب وتقنياته وحداثته (الثالثة) ما دامت (ثورته المعلوماتية) ما جاءت الا تعبيرا عن حداثته[٥٤] لهذا السبب علق (هبرماس) على قول (ستاينفلر) الذي قاس الحداثة على ما بعدها (اوربا / امريكا) قبل ان يقيس عليها الوضع المتخلف في عالم الجنوب قائلا يتخذ الصراع لما يمكن ان يعد عقلية معارضة وتتبع منطقها لتربطه بالاشكال المتنوعة للتطرف أي ايجاد علاقة بين الحداثة والعدمية (النيتشوية ــ كما ادركتها مدرسة فرانكفورت في اوربا سابقا) بين قيود الحكومة التوتاليتارية ، وبين نفقات التسليح (وتخويف الناس من خطر موهوم) بين تحرير المرأة وحقوق الشذوذ الجنسي : وتحطيم العائلة ، بين اليسار (تحت عنوان التطرف) وبين الارهاب او (مناهضته السامية) حتى يصل هبرماس الى (الحداثة الثقافية) الجديدة قائلا هي المعبرة ، عن " الاعباء غير المريحة للتحديث الرأسمالي في مجالي الاقتصاد والاجتماع "[٥٥] مشيرا الى معضلات الحياة الغربية الناجمة عن الحداثة الثالثة

---

[٥٣] ايضا ص ٦٧ .

[٥٤] ايضا ص ٦٨ ــ ٧٠ .

[٥٥] هبرماس ، جورجن : الحداثة مشروع لم يكتمل بعد : تر / غازي مسعود ، مجلة الموقف الثقافي ع ١ ــ ٢ ، بغداد ١٩٩٦ ص ٨١ .

والناشئة بسبب اختراق الثقافة الحداثوية قيم الحياة اليومية " فينجم عن اختلاط الحداثة بما بعدها ! اجتماع النقائض والمتضادات بسبب " إطلاق العنان لدوافع المتعة التي لا يمكن مصالحتها مع انضباط الحياة المهنية في المجتمع " الى جانب تناقض " الثقافة الحداثوية مع أسس السلوك في الحياة العقلانية الغائبة واثارة الكراهية ، بمعتقدات وفضائل الحياة اليومية تحت ضغط الحاجات الاقتصادية والادارية مما عبر عن (الموقف المعادي)[٥٦] او ما يعرف بروح الكراهية . لهذا السبب على ما نظن تحدث جاكوبي عن نهاية الايديولوجيا وخرافة التعددية الثقافية ، وثقافة الجماهير الفوضوية ، ليخلص منها الى بيان سمات ما بعد الحداثة في المجتمع الغربي ذاته "[٥٧] (مجتمع التنوير) وكيف فرضت منطقها الجبري [٥٨] على الحياة ، مع انه منطق يتقاطع مع العقلانية التطبيقية[٥٩] وحفريات المعرفة[٦٠] في اوربا مما انتهى اليه بيار بورديو الى دعوته باعادة النظر بالفلسفة جملة

---

[٥٦] ايضا ص ٨٠ .

[٥٧] راسل جاكوبي : نهاية اليوتوبيا السياسية والثقافية في زمن اللامبالاة تر / فاروق عبد القادر ، عالم المعرفة ع ٢٦٩ الكويت ٢٠٠١ ص ١١ ــ ٢١٣ .

[٥٨] جيلبيربوس : مدخل الى الفلسفة ترجمة / رجب ابو دبوس ــ الدار الجماهيرية مصراته (ليبيا) ١٩٩٤ ص ١٦ ــ ٩٦ .

[٥٩] غوستون باشلار : العقلانية التطبيقية تر / بسام الهاشم ــ المؤسسة الجامعية بيروت ١٩٨٤ ص ١٢٧ .

[٦٠] ميشيل فوكو : حفريات المعرفة ترجمة / سالم يفوت ــ المركز الثقافي بيروت ١٩٨٧ ص ٢١ ــ ١٩١ .

وتفصيلا[٦١] بل بالمشروع التنويري جذريا ! بعد ان فقد شروط حياته ! كما وضعها كانط قبل قرنين من الزمن .

٣ ــ انقل ان ما بعد الحداثة في المفهوم الامريكي هو (الحداثة الثالثة) اليوم التي ارتكزت على التجربة المعاشة والجسر الذي يربط الايديولوجيات (الشمولية) بما يسمى (نظرية العبور) او الاجتياز واستقلال النظم الفرعية ، بما يعزز فكرة (السوق) كمبدأ منفصل عن النظام الذي يحكم المجتمع سياسياً . " فالسوق هنا هو المعبر عن منطق التاريخ الاجتماعي وتطوره "[٦٢] بعد عام ١٩٩١ وتتجلى مواجهة الصورة بين المصطلح (ما بعد الحداثة او الحداثة الثالثة) والاختلاف السياسي بين الشرق والغرب ، اذا ما عرفنا " ان ظاهرة ما بعد الحداثة تشكل اعلانا لنهاية النظريات الشمولية الموحدة " وبداية ما يعرف بمرحلة ما بعد الشيوعية ، وما بعد البراغماتية ايضا حين انتهت الاولى الى (فرصة لا ارادية) وتحولت الثانية الى (كيوسية = فوضوية) في ظل العولمة حتى جرى التعبير عن (واقع الحال = سياسة الامر الواقع) بنظريات (جديدة) " تضع نهاية للحدود بين الاجيال والاجناس والعام والخاص .. " حد الاعلان عن " لا معنى للعالم الذي نعيش فيه "[٦٣] . هكذا فهم الاوربي المتغيرات في عالم (ما بعد الحداثة) انه (عالم الحيرة) بلغة جان

---

[٦١] بياربوديو : اسباب عملية : اعادة النظر بالفلسفة تر / انور مغيث الدار الجماهيرية سرت ١٩٩٥ ص ١٩ ــ ٢٨٥ .

[٦٢] سليمان الديراني : ما بعد الحداثة : العرب في لقطة فيديو ــ دار الساقي بيروت ١٩٩٢ ص ١٤ .

[٦٣] ايضا ص ١٤ ــ ١٥ نقلا عن كتاب هيرماس بالفرنسية باريس ١٩٨٤ .

بودريار ، او قل هي الفوضى (كيوس) Chaos الذي يعني ان مأزق (ما بعد الحداثة)[٦٤] يوجب على المفكر العمل للخلاص منه الى (ما بعد الحداثة) أي (الموجة الثالثة للحضارة الحداثوية)[٦٥] بلغة توفلر كناية عن مرحلة اختزال المجتمعات وعصر الشركات الاعلانية "[٦٦] .

٤ ــ واذا كنا قد بحثنا في مناسبة سابقة حقيقة (الحداثة الثالثة) من خلال ما عرف (بالمستقبليات) او صدمة المستقبل مشيرين الى الكثير من الظواهر الحداثوية الجديدة بالضد من تنويرية كانط مثل اللاعقلانية والعبثية ومنطق القوة وغياب معايير الحق والجمال"[٦٧] وتخطى عبق الروح وقضايا النفس الانسانية الى حيث الخوف والقلق والرعب والإرهاب "[٦٨] فلنذهب الى المصادر الغربية لفحص حقيقة الحداثة الثالثة .

أ) اذا كان كارل بوبر يرى ان " العقلانية لم تعد من الافكار العصرية "[٦٩] .

---

[٦٤] ايضا ص ١٥ .

[٦٥] الفين توفلر : حضارة الموجة الثالثة : ترجمة عصام الشيخ قاسم الدار الجماهيرية ط ١ بنغازي ١٩٩٠ ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ .

[٦٦] سليمان الديراني : ما بعد الحداثة ص ١٥ .

[٦٧] دراستنا الموسومة : الخطاب الفلسفي المعاصر ومستقبليات توفلر ، من الحداثة الى العولمة ، بغداد ٢٠٠٣ ص ١ ــ ١٩ .

[٦٨] وهو ما فصلنا القول فيه ، ضمن دراستنا : الخطاب العربي الثقافي والاعلامي وجدلية الخوف ، مقدمة في الدورة (١٤) للمائدة المستديرة ــ تموز ٢٠٠٤ طرابلس ص ١ ــ ٣٩ .

[٦٩] النص اورده نبيل علي في الثقافة العربية وعصر المعلومات : عالم المعرفة شباط ، عند ٢٦٥ الكويت ٢٠٠١ ص ١٣ .

ب) فان توفلر يرى في حضارة (الموجة الثالثة) للمجتمع ما بعد الصناعي (التقني) الامريكي احتمالات تحول السلطة بين العنف والثورة والمعرفة "[٧٠] واختلاط المفاهيم وغياب الحقيقة .

ب/١: ان الثورة المعلوماتية والالياف الضوئية التي اختزلت (الجهد والمال والزمن والمسافات) بين اطراف الكرة الارضية حتى بدت وكأنها (قرية صغيرة) تخضع لسطوة امريكية تحت ما يعرف (حق الدمقرطة)[٧١] .

ب/٢: مع ذلك يتحدث توفلر عن مستقبل امريكا (الداخل) معلنا بوضوح ان الولايات المتحدة " بالرغم من انجازاتها الكبرى في الفن والعلم والفكر وفي الحياة المعنوية والسياسية فأنها امة يهرب عشرات الالوف من شبابها من الواقع بأدمان المخدرات ويتراجع ملايين (الاباء) الى ضبابية الكحول ، امة يعيش عشرات الالولف من ابنائها المسنين في خمول ويموتون وحيدين .. امة لا تجد الملايين فيها من سبيل الى ترويض قلقهم واضطرابهم الا باللجوء الى عشرات الانواع من العقاقير المهدئة ، مثل هذه الامة تعاني من صدمة المستقبل "[٧٢] .

ب/٣: كما ترتب على التقنية الرأسمالية متغيرات خطيرة مثل الحروب المفتعلة على الارهاب (العدو الغامض) وتخريب البيئة

---

[٧٠] الفين توفلر : تحول السلطة تر / فتحي بن شتوان ونبيل عثمان الدار الجماهيرية ــ مصراته ١٩٩٢ ص ٢٧٠ .

[٧١] الفين توفلر : صدمة المستقبل (المتغيرات في عالم الغد تر / محمد علي ناصيف ، تقديم احمد كمال ابو المجد ــ مطابع النهضة ــ القاهرة ١٩٩٠ ص ٣١ وما تلاها .

[٧٢] توفلر : صدمة المستقبل ص ٣٨٥ .

والعنصرية والتفاوت الفاحش بين الاغنيـــاء والفقـــراء " وثـــورة الشباب وظهور وتفشي خطر اللاعقلانية المميت "[٧٣]مما يتطلـــب الهروب من مشكلات الداخل الى عدو خارجي يتوجب المقاتلـــة ! انه (خطر الارهاب)[٧٤] الكونفشيوسي ، والاسلامي والعربـــي بعد ان كان هذا الخطر (ما قبل ١٩٩١) شيوعياً احمراً ! .

ب/٤: ومنذ عام ١٩٥٠ اصبح (الحاسوب) بمثابة الدعامة المادية لما بعد الحداثة وصولا الى (الموجة الثالثة) ليؤكد مقولـــة بيكـــون (ان المعرفة هي القوة) وان المعرفة هي سرعة التغـــير علـــى وفق المسخر من وسائل (ادهوقراطية) تختزل الحلقات وتتجاوز الاســـاليب التقليديـــة فـــي التفكـــير والثقافـــة والادارة والعمـــل (الاداء التقـــاني والسياســـي والاقتصـــادي) لا فـــي عـــــالم (ما بعد التكنولوجيا) فحسب بل (وفي العالم الثالث) بما ينطبق على المنظمات والاحزاب والشركات والتجمعات الفنية والادبيـــة والايديولوجية وحتى الدينية[٧٥] والدول والثروات .

ب/٥: ان المتغيرات المادية لا بد ان تنعكس على الجوانب الاجتماعيـــة والقيمية فتعصف بقيم المجتمع ووحدة الاسرة وتقـــاليد الـــزواج وفلسفته ، حتى يصبـــح الـــزواج الســـري والمؤقـــت والمدنـــي والانحراف والزواج المثلي والشركات التي تسخر المرأة والرجل في عملية تبادل الادوار الحيوية والبيولوجية في اطار ما يعـــرف بخليط الكعكة النفسي "[٧٦] .

---

[٧٣] ايضا ص ٥١٤ ، وراجع ص ٤٢٤ بروية وتأمل .

[٧٤] علي حسين الجابري : الخطاب الفلسفي المعاصر ومستقبليات توفلر ص ٧ .

[٧٥] توفلر : صدمة المستقبل ص ٣١٣ .

[٧٦] ايضا ص ٢٣١ و ٢٤٩ ــ ٢٧٠ .

ب/٦: ان نقل النسق اللاخطي من العلوم الصرفة الى المجتمع تحت دعاوى تحرير الفرد من قيود المألوف لكي " يعيش في عالم ليس له نظام محدد يمتاز بالمرونة والحركة "[٧٧] الرجرجة والازاحة على صعيد السياسة والمجتمع والاقتصاد في عالم الجنوب اعتماداً على آلية جديدة في العمل اسمها (الادهوقراطية) تقوم على مثلث (المسؤول والفريق والحاسوب) من اجل بلوغ أكثر من عشرين هدفاً خطيراً داخل المجتمع الامريكي وخارجه "[٧٨] وصولا الى اغرب تشكيلة (للحداثة الثالثة) نشأت من (تعايش المتناقضات) بطريقة آلية على سطح واحد فالى جانب انتعاش المافيات والانحراف سينبعث التطرف الديني كما تزدهر تجارة المخدرات مع ظواهر الاستبداد في ظل الدعاوى الليبرالية والمجتمع المدني مع تفجر الحروب المبعثرة في انحاء العالم .

وتنتشر (الكيوسية) فكرا وثقافة الى جانب (الفرق السرية ، للقتل والخطف) او تأخذ شكل (جماعات تسليك) في الاقتصاد والسياسة والاعلام ، والانتقال بالتجسس والعمالة ، من النشاط الرسمي المقنن الى القطاع الخاص وبدء حقبة (الحكام المصنعين) في (مدارس خاصة)[٧٩] وشركات الدعاية والاعلان .

ب/٧: ليس من سبيل اخر امام امريكا الامة التي تعاني من تخبط حول قيمها الجنسية .. (امة) يمزقها الشك فيما يتعلق بالمال والملكية

---

[٧٧] توفلر : صدمة المستقبل ص ٢٦٠ .

[٧٨] نوهنا بها مفصلا في دراستنا الخطاب الفلسفي المعاصر ومستقبليات توفلر ص ٩ ــ ١٠ .

[٧٩] توفلر : تحول السلطة ص ٥٨٥ ــ ٥٩٠ وتدقق ص ٣٤٠ ــ ٤٠٥ .

والقانون والنظام والعناصر والديانات والله والاسرة والـــذات "[٨٠] امة تعاني من الذهول ودهشة العقل والعجز المذهل عن التكيـــف الذي يأتي من المستقبل ويهددها بالكثير من الامراض العقلية "[٨١] ان هذه الثمار (الحداثوية المعاصرة) تتناقض مع جوهر الحداثـة الكانطية والتنوير العقلاني الذي عبر الى أوربـــا النهضـــة مـــن الحضارة العربية الاسلامية ثم عبر المحيط الاطلسي الى العـــالم الجديد .

ب/٨: وليس أدل على (تشويش الحداثة الثالثة) الامريكية مـــن قـــول كبير مستشاري البيت الأبيض للشؤون المدنية دانيل ب . موينهان " ان الولايات المتحدة اليوم تبدو عليها اعراض شـــخص علـــى وشك الاصابة بالانهيار العصبي وهو مرض خطير كمـــا يقـــول توفلر اخذ ينعكس بشكل متزايد على ثقافتنا وفلسفتنا ومواقفنا ازاء الحقيقة "[٨٢] ليكون بذلك اكثر صراحة من هنتغتون في اعترافـــه بضحايا الحروب الخفية التي تجاوز اعدادها اعداد ضحايا الحرب العالمية الثانية . مما قد تنعكس آثاره المستقبلية علـــى الولايـــات المتحدة الامريكية فتتشظى الـــى دويـــلات فـــي ظـــل الحداثـــة الثالثة "[٨٣] .

---

[٨٠] ايضا ص ٣١٧ .

[٨١] مثل العصاب الوبائي والهوس والعنف والتكنوفوبيا والشك .. الـــخ (يراجـــع : توفلر : تحول السلطة ص ١١ و ١١٠) .

[٨٢] توفلر : صدمة المستقبل ص ٣٨٤ .

[٨٣] توفلر ، الحرب والحرب المضادة ، تعريب صلاح عبد الله ، الدار الجماهيريـــة للنشر سرت ١٩٩٥ ص ٨ و ٧٨ ــ ١٠٧ .

٣ ــ وحين نريد (تقويم) الحداثة الثالثة ومسارها التنويري الذي تبدى لنا في السطور الفائتة من وجهة نظر اوربية (عقلانية) معاصرة بعد قيام الاتحاد الاوربي نعرض للشهادات الاتية :

أ) يتحدث (نورس) عن ما بعد الحداثة الامريكية بمعنى (لا معقولية السلوك تجاه العراق في حرب غير معقولة) ولا يمكن ان يتصورها عاقل "[٨٤] وكيف انتهت الى سيرورة الحداثة وما بعدها الى نوع من التحول والمواجهة بين :

أ/١: التفكيكية وما بعد الحداثة : من كانط الى دريدا فليوتار "[٨٥] .

أ/٢: البراغماتية التقليدية والبراغماتية الجديدة او ما بعد البراغماتية ممثلة بالكيوسية بتحول العالم الحقيقي الى خرافة "[٨٦] لم ير فيها الامريكي في المرأة الا ذاته منعكسة على عالم الجنوب بطريقة مقلوبة .

أ/٣: المتسامي والعبثي على أساس المعرفة التاريخية السردية والتنويرية مما انتهى الى ظاهرة (اللا معنى واللامعقول)[٨٧] التي تسود الحياة والفن والادب والفكر والاعلام .

أ/٤: الأيديولوجيا ، وما بعدها او ما سمي بالليبرالية الجديدة والنظام العالمي (السوبر / امبريالي / التوراتي) في مرحلة ما بعد (الامبريالية)[٨٨] وصولا بالإنسانية الى نتائج (كارثية) لنمط

---

[٨٤] كريستوفرنورس : نظرية لا نقدية تر / عابد اسماعيل ، تقديم تيودور ادورنو دار الكنوز ط ١ بيروت ١٩٩٩ ص ٩ ــ ٤٠ .

[٨٥] ايضا ص ٤١ ــ ٧٠ .

[٨٦] ايضا ص ٧١ ــ ٩٨ .

[٨٧] ايضا : ص ٩٩ ــ ١٢٤ .

[٨٨] ايضا ص ١٤٤ و ١٧٠ و ١٨٣ ــ ٢٣٠ .

التغير بين (تنويرية كانط = الحداثة الأوربية) وما بعدها حسب المفاهيم الفرنسية والألمانية وبين (الحداثة الثالثة) حسب المفهوم الأمريكي او ما بعد الحداثة ممثلة في :

ـ اولاً: التشكيك بعصر الانوار والمنجز الاوربي حسب رؤية (رورتي ، هبرماس ، ادوارد سعيد) و (الماركسيون الجدد) وما بعد الحداثة . وما بعد الايديولوجيا (وما بعد الشيوعية) كما هي عند (قيس ، رورتي ، فوكوياما)[٨٩] .

ـ ثانياً: وضوح الافتراق بين الرؤية الاوربية الحداثوية وحقيقة النوايا الخفية للمشروع الامريكي (المعلولم) في الحداثة الثالثة .

ب) الفوضى العالمية التي حذر منها (جارودي)[٩٠] وهو يستقرئ السلوك الامريكي في ظل العولمة ، ووحدانية السوق التي جعلت من امريكا قائدة الانحطاط وتخريب القيم والاساءة للتجارب الاشتراكية والقومية ، وسعيها لاستعمار (اوربا الحداثة) اعتماداً على التضليل والخداع"[٩١] مما لا سبيل الى مواجهته الا بحل عقلاني تنويري جديد يأتي بمثابة الاعلان العالمي للواجبات ردا على خطط العولمة "[٩٢] والجات ، والاتفاقيات الملحقة بها .

ت) ويتجلى تفاوت الفهم الاوربي للحداثة ، مع التصور الامريكي للعولمي في الحوار المشوافي بين بيير بورديو (فرنسا) وغونتراغرس (ألمانيا) يوم ٥ / ١٢ / ١٩٩٩ جاء على لسان

---

[٨٩] ايضا ص ١٩٨ ـ ٢١٦ .

[٩٠] روجيه جارودي : امريكا طليعة الانحطاط ، تقدم كامل زهيري ، ترجمة عمرو زهيري ط ٢ ، دار الشروق من القاهرة ٢٠٠٠ ص ٢٥ ـ ٣٨ .

[٩١] ايضا ص ٣٩ ـ ١٧٠ .

[٩٢] ايضا ص ١٧١ ـ ٢٩٣ .

(غراس) " هل ان الحركة الاوربية لعصر الأنوار (الحداثة) قد فشلت " رد ! بورديو : اجل " بسبب الرؤية الليبرالية الجديدة التي أصبحت رؤية مهيمنة اليوم اعتقد ان الثورة الليبرالية الجديدة (الحداثة الثالثة) ثورة محافظة .. تعيد تشييد الماضي الذي يقدم نفسه تقدميا ، ثورة تحول التراجع الى التقدم "[٩٣] . قال غونتر غراس : " ما يطرح اليوم على انه ليبرالية جديدة (ما بعد الحداثة) = (الحداثة الثالثة) ليس سوى عودة الى وسائل ليبرالية (مدينة مانشستر) في القرن التاسع عشر . وفي السبعينات من القرن العشرين حاول الجميع في اوربا (تحضير الرأسمالية أي جعلها اكثر حضارية) وإنسانية . انا كنت انطلق من مبدأ (ان) الاشتراكية والرأسمالية ! هما الطفلان الفاشلان بجدارة لعصر الانوار (الحداثة) لانهما يملكان قدرة على التحكم (المركزية) الرأسمالية خضعت لبعض المسؤوليات وفي المانيا نسمي ذلك اقتصاد السوق الاشتراكي " ! ولكن مع بدء انهيار الشيوعية في نهاية الثمانينات " اعتقدت الرأسمالية ان كل شيء مسموح لها كما لو انها تستطيع الفرار (التملص) من كل مراقبة للقطب المعاكس (المضاد = الاشتراكية) لها بدأ خاطئا بما في ذلك الرأسماليون النادرون الذين يطالبون اليوم بالحذر لانهم انتبهوا الى ان النسق الليبرالي الجديد ، يعود ليقع في الاخطاء الشيوعية عبر اختراعه لدوغمات وبنوع من ادعاء العصمة .. انه استسلام اما الاقتصاد " ! وفي رد بورديو على هذا الرأي قال "

---

[٩٣] بيير بورديو : وغونتر غراس : حوار على شبكة الانترنت(المعلومات الدولية) منشورة ترجمتها العربية ، في جريدة العراق البغدادية يوم ٢٦ / ٢ / ٢٠٠٢ نقلا عن (المحطة الاوربية الفضائية يوم ٥ / ١٢ / ١٩٩٩) .

بأن الاوربيين وعلى الرغم خطابهم الاشتراكي الجديد ، لكن الممارسة تبقي هذه الحركة النقدية ضعيفة جداً " ثم يتساءل (ماذا نستطيع نحن المثقفين) القيام به كي نسهم في (تقوية هذه الحركة) بعد اكتشاف الحقيقة ؟ نقول " ان جميع الفتوحات الاجتماعية ، قد تم اكتسابها خلال قوة الصراع " ومنطق القوة ! " مما يضع على عاتق المثقفين مسؤولية تشكيل حركة جديدة لمواجهة قوة المسيطرين الاقتصادية والثقافية ؟ التي راحت تقتل (الأحلام الإنسانية) في الحياة الكريمة للغربيين أنفسهم ! فمسألة الاشتراكية ــ هكذا يرى غونتراغراس هي طموح انساني سابق على التجربة الشيوعية فيتوجب علينا بعد ذهابها ان نتمسك به والا سوف " نتخلى عن أنفسنا " ولا ينفع معه الاحتجاج الخجول على الخلل الذي يهدد (المجتمع الألماني / الأوربي) نفسه من جراء كثرة (نفايات التقنية) . مما يفرض علينا ضرورة تأسيس (نقابة للعاطلين عن العمل) وبناء أوربا (جديدة) اقتصاديا وفكريا . وما دام واجب المثقفين (الثوريين) هو الحافز فلا بد من " ابداع قوة مضادة لليبرالية الجديدة العالمية " أي الحداثة الأمريكية الثالثة . ولا يخفى قلقه في هذا الجانب على المثقفين قياسا على أولئك الذين يجيئون من عالم العمل الذين يعملون ضمن النقابات " . هؤلاء الناس هم اليوم من العاطلين .. ويبدو ان لا أحد بحاجة لهم اليوم " وتلك هي قوة الصدام الجديدة داخل (بنية العولمة ذاتها) أي داخل (ما بعد الحداثة = الثالثة) وعصر المعلوماتية في الغرب .

خلاصة القول :

جميع ذلك يصيب (كانط) بخيبة الامل بعد قرنين من وفاته مثلما يحزن الاجيال العربية التي ورثت الحداثة العربية الاسلامية من العلماء والفلاسفة ! الذين ظنوا خير ا بالعلم وبالمستقبل قبل الف عام واذا بهم يواجهون هذه الحالة من الفوضى في كل شيء والمشكلة عامة : ثلاث حداثات ! انتهت بالغربيين وبنا نحن ابناء العربية "[٩٤] الى ضرورة اعادة طرح الاسئلة الفلسفية عن الانسان والحق والخير والجمال والسعادة والعدالة بشيء من (الاطار الميتافيزيقي) لكي نفتح بابا لخيال الانسان "[٩٥] يستطيع به ممارسة (احلام اليقظة) ليس الا ! .

---

[٩٤] نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ص ١٥ .

[٩٥] ناصيف نصار ، الفلسفة في معركة الأيديولوجية (دار الطليعة) ط ١ بيروت ١٩٨٠ ص ١٣٧ ــ ١٥٣ .